من قيم السيدة زينب عليها السلام

قال تعالى على لسان لقمان في عظته لابنه: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾. (لقمان،١٧).

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾. (البقرة، ١٥٥، ١٥٦).

الصبر هو حبس النفس عمّا تحب وترك الجزع عندما تكره. وهو تحمّل الإنسان لحالة حدثت تستدعي منه التحمّل والهدوء، ومعالجة الأمور بتعقّل وحكمة. والصبر من فروع الرضا بقضاء الله وقدره، وهو من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان»[1].

والله تعالى وعد الصابرين أجراً كبيراً ﴿وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (البقرة ١٥٦، ١٥٧)، ﴿والله يحبّ الصابرين﴾. (آل عمران، ١٤٦).

وكذلك أكّدت روايات أهل البيت عليهم السلام على ذلك حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام:

«لو يعلم المؤمن ما له في المصائب من الأجر لتمنّى أن يُقرض بالمقاريض»[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل الصبر عند مُرّ الفجيعة»[3].

1- الكليني، الكافي، ج2، ص87.
2- الريشهري، ميزان الحكمة، ج2، ص1560.
3- الريشهري، ميزان الحكمة، ج2، ص1562.

وقد تجلّى الصبر بأعلى مراتبه عند السيدة زينب عليها السلام في كربلاء، حيث كانت نموذجاً لكلِّ إنسانٍ صابرٍ محتسب عند الله، وأصغت بعقلها وقلبها إلى موعظة أخيها الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، حيث قال لها عليه السلام: «يا أختاه تعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأهل السماء يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجههُ تعالى، الذي خلق الخلق بقدرته، ويبعث الخلق ويعودون، وهو فردٌ وحده، جدّي خير منّي، وأبي خيرٌ منّي، وأمّي خيرٌ منّي، وأخي خيرٌ منّي، ولي ولكلّ مسلم أسوة برسول الله صلى الله عليه وآله. يا أختاه أقسمتُ عليكِ فأبرّي قسمي، لا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا هلكت».

وكانت زينب عليها السلام عند وصيّة أخيها، حيث لم يرَ الأعداء منها وهناً، بل وجدوها تلك الحرّة الأبيّة، والمعجزة المحمّديّة، والذخيرة الحيدريّة، والوديعة الفاطميّة... تحدّت بمواقفها أهل النفاق والفتن، وأرهبت الطغاة في صلابتها، وأدهشت العقول برباطة جأشها، ومثّلت أباها عليّاً عليه السلام بشجاعتها، وأشبهت أمّها عليها السلام في عظمتها وبلاغتها، فقد شاهدت أخوانها وبني أخوانها وبني عمومتها وشيعة أخيها على الرمال مجزّرين، وكذلك فقد شاهدت إحراق خيامها بعد قتل أخيها الحسين عليه السلام، ومرّت على مصارع الشهداء وعاشت محنة الأسر والسفر المرير الى الكوفة ثمّ الى الشام، ومن الشام الى كربلاء فالمدينة المنوّرة.

وبقدر ما كان مصابها عظيماً، كان صبرها على فجيعة أهلها أعظم، وكان لها مواقف شجاعة حيث خرجت إلى باب الفسطاط في ساحة الطف ونادت عمر بن سعد: «ويلك يا عمر! أيُقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! فلم يجبها بشيء، فنادت: ويحكم! أما فيكم مسلم؟» فلم يجبها أحد.

وبعد أن أُحرقت الخيام وتفرّقت الأطفال كانت السيدة زينب عليها السلام هي التي تجمع النساء والأطفال وتتفقّدهم وتسأل عن الأيتام حتى جمعتهم في خيمة وجلست عندها، وكأنّها لم تُصب بتلك الفاجعة الأليمة، فقد كان منها الحزم والصبر حتى جمعت المتشتت، وعالجت المريض، وهدّأت اليتامى وصبّرت الأرامل والثكالى.

نعم هذه هي زينب التي أخذت موعظة أخيها الإمام الحسين عليه السلام، فتعزّت بعزاء الله، فوضعت يدها تحت جسد أخيها الموزّع بالسيوف رافعةً له عليه السلام وهي تقول عليها السلام: «اللهم تقبّل منّا هذا القربان».